مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 23 العدد 1 السنة 2022 ص456 – ص469
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

الدكتورة عائشة غطاس رحمها الله

محاكاة الإنسانة والباحثة

Dr. Aisha Ghattas, may God have mercy on her Simulation of human and researcher

الشافعي درويش [1]

[1] جامعة زيان عتشور الجلفة، chafaiderouiche@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 24/ 04/ 2022 تاريخ القبول: 10/ 06/ 2022

Abstract:

Algeria is distinguished by its many flags and unique personalities, which distinguish it from other countries of the world. In this article, we mean historians and scholars researching in the field of Algerian history and the history of the Arab and Islamic world in its various stages and eras, and those who left their traces and knowledge for the benefit of others after him. Among these distinguished Algerian figures and historians is Professor Dr. Aisha Ghattas, may God have mercy on her, who became famous in Algeria, the Maghreb, the Islamic world and the world at large.

In this article, we will try to highlight the personality of Dr. Ghattas through her scientific and humanitarian stances with her students and her university environment, so that we may honor her right as a leading professor in her field of specialization. That is because its name was associated with the establishment of a historical curriculum that included all aspects related to the study of the history of Algeria during the Ottoman era, and the study of Algerian society in its various segments, components and functions during the same period. Not to mention many historical research studies related to the modern Algerian state, its institutions and its external relations during

the Ottoman era, which earned it the title of pioneer. Studies related to Ottoman Algeria.
Keywords: Aisha Ghattas; Ottoman studies; modern history of Algeria; craftsmen and craftsmen; The modern Algerian state.

المؤلف المرسل: الشافعي درويش
البريد الالكتروني: chafaiderouiche@yahoo.fr

الملخص:

تتميز الجزائر بكثرة أعلامها وشخصياتها الفريدة من نوعها، والتي تميزها عن غيرها من أقطار العالم، ونقصد في هذا المقال المؤرخين والعلماء الباحثين في مجال تاريخ الجزائر والتاريخ العالم العربي والإسلامي في مختلف مراحله وعصوره، والذين تركوا آثارهم وعلمهم لينتفع به غيرهم من بعده. ومن بين هؤلاء الأعلام الجزائريين والمؤرخين الفذين **الأستاذة الدكتورة عائشة غطاس رحمة الله عليها**، والتي ذاع صيتها في الجزائر وفي منطقة المغرب العربي والعالم الإسلامي والعالم قاطبة.

وسنحاول في هذا المقال إبراز شخصية الدكتورة غطاس من خلال مواقفها العلمية والإنسانية مع طلبتها ومحيطها الجامعي ،لعلنا نوفي لها حقها كأستاذة رائدة في مجال تخصصها . ذلك أن اسمها ارتبط بتأسيسها لمنهج تاريخي شمل كل الجوانب المرتبطة بدراسة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني ،ودراسة المجتمع الجزائري بمختلف شرائحه ومكوناته ووظائفه خلال ذات الفترة .ناهيك عن دراسات بحثية تاريخية كثيرة تتعلق بالدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها وعلاقاتها الخارجية خلال العهد العثماني ،فاستحقت بذالك لقب رائدة الدراسات المتعلقة بالجزائر العثمانية .

الكلمات المفتاحية: عائشة غطاس؛ الدراسات العثمانية ؛ تاريخ الجزائر الحديث؛ الحرف والحرفيون؛ الدولة الجزائرية الحديثة.

1. مقدمة:

عندما اطلعت على الإعلان الذي تقدم به القائمون على مجلة الدراسات التاريخية (مشكورين) ،واخص هنا بالذكر الدكتور جمال سهيل أستاذ التاريخ الحديث بجامعة غرداية ،من أجل تكريم أساتذة ودكاترة التاريخ ،الذين توفوا رحمهم الله

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

،عرفانا بما قدموه للجامعة الجزائرية ولطلبة التاريخ بوجه خاص ،وللأجيال الجزائر إلى الأبد ولتاريخ الجزائر . قرأت من بين الأسماء المقترحة لكتابة مواضيع حول شخصياتها ،اسم الأستاذة **الدكتورة عائشة غطاس** رحمها الله ،اتصلت مباشرة بالصديق والزميل الدكتور جمال سهيل على الفور ،واقترحت عليه موضوع مقال يتعلق بشخصية الدكتورة غطاس رحمها الله ،فرحب بالفكرة وشجعها نظرا لأني أعرف مسبقا علاقته المميزة بالأستاذة الراحلة وما يكنه لها من حب واحترام ،وهنا جاء هذا المقال اعترافا وتقديرا ورحمة للأستاذة الراحلة عائشة غطاس .

وقد وضعت عنوانا لمقالي هذا أسميته **الدكتورة عائشة غطاس محاكاة الإنسانة والباحثة** ،وقسمته إلى شطرين:

الشطر الأول ضمنته معرفتي الشخصية بالدكتورة الراحلة من خلال وصفي لشخصيتها عندما كنت طالبا جامعيا ،سواء في مرحلة الليسانس بجامعة الجزائر عندما عرفتها خلال سنوات 1992-1996 .

وبعد أن ازدادت معرفتي بها في مرحلة الماجستير ،وكأني أبني معارفي منة جديد لشخصية ازداد إعجابي بها ،نظرا لازدياد حرصها ومعارفها ومعلوماتها رغم عدد السنين التي لم تؤثر فيها ،بل زادتها قوة وشغفا للعلم ولنشر رسالة التاريخ بين طلبة التاريخ ،رحمها الله .

أما الشطر الثاني فخصصته لبعض المعارف التي تركتها الراحلة وأثرت بها الجامعة الجزائرية ،وخصصت ثلاثة أعمال وهي :رسالة الماجستير وأطروحتها ،إضافة إلى مشروع بحثي حول الدولة الجزائرية الحديثة ،كما اخترت موقفا علميا للدكتورة غطاس حول نظرتها التقييمية للكتابات الغربية المتعلقة بتاريخ الجزائر خلال العهد العثماني ،نظرا لإلمامها الكبير واطلاعها على الكتابات الأجنبية .

وسنحاول في هذا المقال إبراز شخصية الدكتورة غطاس من خلال مواقفها العلمية والإنسانية مع طلبتها ومحيطها الجامعي ،لعلنا نوفي لها حقها كأستاذة رائدة في مجال

تخصصها . ذلك أن اسمها ارتبط بتأسيسها لمنهج تاريخي شمل كل الجوانب المرتبطة بدراسة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني ،ودراسة المجتمع الجزائري بمختلف شرائحه ومكوناته ووظائفه خلال ذات الفترة .ناهيك عن دراسات بحثية تاريخية كثيرة تتعلق بالدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها وعلاقاتها الخارجية خلال العهد العثماني ،فاستحقت بذالك لقب رائدة الدراسات المتعلقة بالجزائر العثمانية .

والإشكال المطروح في هذا المقال ،يدور حول عدة تساؤلات أدرجتها في ما يلي :من هي الدكتورة عائشة غطاس ؟وما هي أهم مميزات هذه الشخصية الجزائرية ؟ وما هي أهم أعمالها العلمية ؟وما هي البصمة التي تركتها في مجال الدراسات التاريخية العثمانية الجزائرية ؟.

2. لمحة موجزة عن شخصية الدكتورة الراحلة :

ولدت الدكتورة عائشة غطاس (رحمها الله) في 20 ديسمبر سنة 1955م بمدينة البرواقية بولاية المدية (عاصمة التيطري) ،زاولت تعليمها الابتدائي والمتوسط والثانوي بمدينة البرواقية وتحصلت على شهادة البكالوريا شعبة آداب سنة 1976م مما أهلها للالتحاق بالجامعة [1].

التحقت الدكتورة بقسم التاريخ بجامعة الجزائر ،حيث زاولت دراستها الجامعية فتحصلت على شهادة الليسانس ،وكانت الأولى على دفعتها مما سمح لها بالتسجيل في الماجستير وتوجت جهودها العلمية بحصولها على شهادة الماجستير سنة 1986م ،بموضوع العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن 17م ،وتبعها حصولها على شهادة دكتوراه دولة في التاريخ بموضوع الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر سنة 2002م ،وبعد ذلك تمت ترقيتها إلى أستاذ التعليم العالي سنة 2008م .وقد توفيت الدكتورة عائشة غطاس (رحمها الله) في 08 ماي سنة 2011م بشقتها بالعاصمة في ظروف غامضة[2]

3. مواقف إنسانية بين جامعتي الجزائر وغرداية :

1.3- في جامعة الجزائر ببوزريعة :

إن أول لقاء جمعني بالدكتورة عائشة غطاس كان في سنة 1993م عندما كنت طالب سنة ثانية ليسانس تخصص تاريخ بقسم التاريخ بجامعة الجزائر ببوزريعة بالعاصمة ،وقد كانت الدكتورة تدرسنا (دفعة تاريخ 92-96) السنة الثانية ،مقياس

(مادة) تاريخ الجزائر العثمانية محاضرة ،وكانا نحن الفوج الأول محظوظون عن البقية لأنها تدرسنا المقياس ذاته أعمال موجهة ،وبالتالي كان احتكاكنا بها عن قرب ،وكان نستفيد من غزارة علمها ودقة منهجها مباشرة .لقد كانت حصة الأعمال الموجهة ممتعة للغاية ومهيبة في الوقت ذاته ،نظرا لقوة شخصية الدكتورة ودقة ملاحظاتها وأسئلتها وإشكالاتها ،التي تطرحها من الوقت إلى الآخر [3] .

لقد تعلمت منهجية تحليل النصوص التاريخية من خلال حصص الدكتورة غطاس رحمها الله ،فقد كانت لا تفوت أي حصة وإلا ومعها نصوص مطبوعة حول تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني ،حتى وإن كان مبرمج في الحصة أعمال وعروض وبحوث ،فقد كانت تزودنا بالنصوص للاطلاع والتحليل ودراستها [4] .

ومن الإشكالات التي كانت الدكتورة تثيرها باستمرار ،ومازالت ترن في مذكرتي :هي كيف كانت علاقة الجزائر بالدولة العثمانية ؟ وهل كانت تابعة لها مباشرة ؟ أم تابعة اسميا كما كانت رحمها الله تثير قضية الوجود العثماني في الجزائر وخلفياته ،وكنا نناقش تلك الإشكاليات ونثير جوا من النقاش العلمي المحترم داخل قاعة الفوج الأول في قسم التاريخ ،وكانت الدكتورة تقسم الأدوار والنقشات ،وكانت مسرورة بتلك النقاشات العلمية بين الطلبة [5] .

وعلى الرغم من أن الدكتورة كانت لها قناعاتها العلمية حول هذه المواضيع ،وكنت أعرفها من خلال كلامها ،إلا أنها رحمها الله لم تفرض على طلبتها تلك القناعات أو الآراء ،لكننا في الأخير كنا نتوصل إلى تلك القناعات العلمية بعد توجيهها لنا للوثائق الأرشيفية والمصادر [6].

وفي حصة المحاضرات كانت الدكتورة رحمها الله دقيقة المعلومات غزيرة العلم ،متمكنة من تخصصها ،كثيرة المصطلحات ،مستعدة دائما للأسئلة والمناقشات العلمية ،ولكنها من جهة أخرى كانت صارمة ،ذات شخصية متزنة وقوية ،استحقت أن توصف بالدكتورة الحديدية .لقد كانت دقيقة وحريصة حتى عند معاينة أوراق الطلبة عند

تصحيح امتحان المحاضرة ،حتى يأخذ كل ذي حق حقه ،في حين كان بعض الأساتذة جزاءهم الله من عنده ،لا نرى نقاطها في مقاييسهم إلا مع نهاية السداسي وأحيانا نهاية السنة ،ولاحق للطالب المغلوب على أمره المطالبة في حقه في المعاينة .هذه الدكتورة عائشة غطاس رحمها الله كما عرفتها عن قرب وأنا طالب جامعي في قسم التاريخ بجامعة الجزائر ببوزريعة [7] .

2.3 في جامعة غرداية :

كان أول لقاء لي بالدكتورة غطاس رحمها الله بعد 12 سنة ،أي في سنة 2008 في المركز الجامعي بغرداية ،وهذا عند تنظيم شعبة التاريخ بالمركز لأول مسابقة دكتوراه للموسم (2008-2009) في تخصص التاريخ الحديث ،موضوع العلاقات بين ضفتي الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال الفترة الحديثة ،وكانت الدكتورة رحمها الله احد أعضاء اللجنة المشرفة على تنظيم المسابقة ،وقد كنت من الناجحين 15 في المسابقة ،وكانت دفعتنا محظوظة إذ كانت الدكتورة غطاس من أعضاء التدريس في مقاييس التخصص والمنهجية [8] .

ومن بين المقاييس التي درستنا خلالها الدكتورة ،أذكرها جيدا العلاقات المغاربية الفرنسية خلال العصر الحديث ،وقد استفدنا كثيرا منها ومازالت الكثير من المعلومات نمدها حتى الآن لطلبتنا عن تلك المرحلة التاريخية المهمة من التاريخ المغاربي[9] .

كما درستنا الأستاذة غطاس رحمة الله عليها ،مقياس المصادر المتعلقة بالدول المغاربية ،بالإضافة إلى نصوص أجنبية ،وقد استفدنا كثيرا من معلوماتها الغزيرة ،وحتى من اللغة الفرنسية التي كانت تتقنها بجدارة ،زلن أنسى كلماتها التي مازالت ترن في أذني حتى تتمكنوا من دراسة التاريخ **عليكم أن تقرؤوا وتقرؤوا ..... رحمة الله عليها** [10]،

ولن أنسى ذلك اليوم 11 جانفي 2011م ،وهو اليوم الذي ناقشت فيه مذكرة الماجستير بالمركز الجامعي بغرداية بقاعة المحاضرات الكبرى ،وكان الجمع غفيرا جدا من أساتذة وطلبة وضيوف ،لأنها كانت المذكرة الأولى التي تناقش بالجامعة ،وكانت الدكتورة عائشة غطاس رحمها الله عضوا مناقشا في اللجنة ،وقد كانت غاية في السرور بهذه

المناقشة ،وقد باركت لي الدكتورة بعد المناقشة وأتذكر جيدا عباراتها التي لا تنسى .رحمها الله [11].

4.الفاجعة الأليمة وسرعة انتشار الخبر:

لقد كان يوما ليس ككل الأيام ،فقد عدت من جامعة غرداية في ذات اليوم من شهر ماي 2011 ،وكان الجو ساخنا لأنها طبيعة غرداية المنطقة الصحراوية ،وقد اتصل بي هاتفيا **الدكتور إبراهيم سعيود** رئيس قسم العلوم الإنسانية بجامعة غرداية (الآن الأستاذ الدكتور إبراهيم سعيود يدرس بقسم التاريخ بجامعة الجزائر2 ببوزريعة) ،وكله حزن وتأثر ليخبرني عن وفاة الأستاذة غطاس رحمها الله ،وطلب مني الدعاء لها وأن أخبر زملاء دفعة الماجستير 2008 ،وقد اختارني الدكتور سعيود بهذه المكالمة نظرا لعلاقة الاحترام المميزة التي كانت تربطني بالدكتورة رحمها الله[12].

لم استطع تمالك نفسي وأنا بمدينة بريان بغرداية ،فاتصلت مباشرة بأستاذي المشرف **الدكتور عمار بن خروف** وكان بالعاصمة ،وتجاذبت أطراف الحديث معه عن أخبار الأستاذة ،فاستنتجت بأنه لم يكن على دراية بنبأ الوفاة وقضية الاغتيال ،ولكنني تمالكت نفسي وأخبرته نظرا لعلاقته المميزة بالمرحومة ،لم يتمالك الدكتور بن خروف نفسه ،وتحسّر على وفاة الدكتورة ،ومما سمعته يردده في الهاتف ،**يالها من خسارة ...خسارة ... خسارة ...** وبعد أيام التقت الدكتور بن خروف بجامعة غرداية وكان متأثرا جدا بوفاة الدكتور ،حتى أني أطلعته على مقال رثاء للأستاذة نشره الدكتور أبو القاسم سعد الله ،طلب مني قراءته كله [13] .

كما اتصل بي **الأستاذ جمال سهيل** واخبرني عن قضية الوفاة (الدكتور جمال سهيل أحد زملاء دفعة الماجستير تاريخ حديث 2008 بغرداية وهو الآن أستاذ محاضر بقسم التاريخ بجامعة غرداية) ،وقد كانت الدكتورة رحمها الله مشرفة على الأستاذ جمال سهيل في مرحلة الماجستير ،كان سهيل متأثرا جدا ولم يصدق قضية الوفاة ،لذلك توجه الأستاذ سهيل إلى العاصمة ثم حضر جنازة المرحومة في مسقط رأسها

بمدينة البرواقية ،وقد حكى لي لاحقا عن الجو المهيب وعن الأعداد الغفيرة من الحضور [14].

ومازالت إلى اليوم في جامعة غرداية بالقرب من قاعة المحاضرات الكبرى نخلة تسمى نخلة الأستاذة عائشة غطاس ،وقد أورد لنا الدكتور سعيود قصتها ،وأنه تم غرسها وسميت باسمها عندما كانت تدرس بالجامعة كأستاذة زائرة عندما تم فتح قسم التاريخ بالجامعة ،وقد كان أول قسم فتح في المركز الجامعي بغرداية ،وكان الأساتذة من العاصمة يتنقلون إلى غرداية لتدريس الطلبة ،ومن بينهم كانت الدكتورة غطاس رحمها الله [15].

4. وجهة نظر للدكتورة غطاس حول الكتابات الغربية بحكم إلمامها بها:

تعتبر الدكتورة غطاس من الباحثين المتميزين في مجال الدراسات المتعلقة بتاريخ الجزائر خلال العهد العثماني ،فقد تركت رصيدا كبيرا من الكتابات التاريخية الجادة والموثقة ،والتي اعتمدت فيها على دور الأرشيف المختلفة ،سواء أكس آن بروفانس بفرنسا وأرشيف الغرفة التجارية بمرسيليا ،أو الأرشيف الوطني الجزائري ببئر خادم وسجلات المحاكم الشرعية بالجزائر ،أو الأرشيف الوطني التونسي وغيره .لذلك يجد القارئ أن جل دراساتها البحثية موثقة [16].

وما يميز الدراسات البحثية للدكتورة رحمها الله هو كثرة المقالات العلمية ،وفي هذا الإطار شدني مقال رائع مهما قرأته إلا وتجدني أعود إليه بين الحين والآخر ،ولعل كثير من القارئين مثلي ،وهو منشور في مجلة الدراسات التاريخية التي كانت تصدر عن قسم التاريخ بجامعة الجزائر [17] .

وقد استوقفني هذا المقال دون غيره من الكتابات لأن الدكتورة طرحت فيه قضية نظرة الكتابات الغربية لتاريخ الجزائر خلال العهد العثماني ،وقد ناقشته الدكتورة بصورة لا مثيل لها ،نظرا لاطلاعها الواسع وإلمامها الغزير باللغة الفرنسية [18] .

وهذا هو رأي الدكتورة في هذه الكتابات الغربية ولكن رغم كثرة ذلك الإنتاج ، يجب إعادة النظر في ما ألفه الغربيون والفرنسيون خصوصا ؛عندما كان ميدان التأليف حكرا عليهم ،بسبب ما ألصقوه بتاريخ الجزائر خلال العهد العثماني من تشويه وتحريف ،لذلك نحن في حاجة إلى نظرة تقييمية ،لذلك الرصيد من الإنتاج الأدبي

المتنوع والمتشبع ،إذ أن ذلك الإنتاج كان لهدف معين ،ولغاية معينة ،ولم يكن موضوعيا .ومن جهة أخرى لا يمكننا الاستغناء عن ذلك الإنتاج الأدبي والتاريخي ؛نظرا لأهميته ،لذلك يجب علينا معرفته وتقييمه قبل التعامل معه[19] .

وتضيف الأستاذة رحمها الله إن المصادر الغربية المتعلقة بتاريخ الجزائر خلال العهد العثماني ،تتميز بتنوعها وغزارتها ،وهي من جنسيات مختلفة :الاسبانية والايطالية ،والفرنسية والانجليزية ،وحتى الأمريكية ...الخ ،وهي عبارة عن رحلات أو تقارير ،أو مذكرات القنا قناصل أو جواسيس ،أو رهبان جاؤا إلى الجزائر ،وتعرفوا على طبيعتها ،وهذه المصادر من الضخامة بحيث تتجاوز مجهود باحث واحد ،وهذا ما يؤكد غزارتها ، ذلك أنها امتدت على مدى ثلاثة قرون من الزمن [20] .

وتستطرد رحمها الله موضحة حقيقة المصادر والكتابات الغربية المتعلقة بالجزائر خلال العهد العثماني ،إن هذه المصادر رغم تعدد مشاربها ،إلا أنها أجمعت كلها على وصف الجزائريين خلال العهد العثماني :بالقرصنة واللصوصية ،فقد أطلق هؤلاء العنان لأفكارهم وأقلامهم ،لمهاجمة الجزائر وتصويرها في أحلك وأبشع صورة ،لأنهم كانوا على يقين أن آراءهم سيكون لها الصدى المنشود لدى السياسيين الأوربيين .إن تلك الكتابات نابعة من ذاتية مشحونة بالحقد والكراهية لحكومة الجزائر ،وقد غذاها عاملان هما :أولا الصراع بين الإسلام والمسيحية ،فكانت تلك المصادر ملتزمة :هدفها الوحيد هو خدمة المسيحية .وثانيا هو عجز الدول الأوربية عن المواجهة والتصدي لقوة البحرية الجزائرية ،فتحول العجز إلى ازدراء وسخط واحتقار ،ولذلك مهدت تلك المؤلفات للنظريات الاستعمارية ،التي تزعمتها المدرسة الغربية فيما بعد[21] .

5. دراسة نماذج من مؤلفات الدكتورة غطاس:

1.5- العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن 17م:

يعتبر موضوع العلاقات من الدراسات المهمة والممتعة في الوقت ذاته ،والموضوعات الصعبة في نفس الوقت ،وخاصة إذا كانت العلاقات أفقية بين ضفتي المتوسط .وقد

تناولت الباحثة رحمها الله موضوع **العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن 17م** ،وهو من المواضيع الصعبة لأنه يتطلب الإلمام بالمصادر الأجنبية الفرنسية ،وإتقان اللغة الفرنسية ،كما أن الموضوع يعتبر جديدا من حيث الطرح مقارنة بالدراسات التي عاصرته ،كما أنه مازال مرجعا مهما لذات الموضوع حتى في وقتنا الحالي ،مع كثرة الدراسات وتنوعها [22] .

وقد تناولت الدكتورة غطاس رحمها الله فيه مرحلة مهمة من تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني ،والتي أثبتت من خلاله وجود الدولة الجزائرية ومعاملتها للدولة الفرنسية الند بالند ،من خلال العلاقات العدائية من حروب متكررة وحملات ،وعلاقات سلمية من خلال المعاهدات والمبادلات التجارية والتمثيل الدبلوماسي . وقد حظي الموضوع من قبل الباحثة رحمها الله بدراسة معمقة ،وشمل ملاحق ووثائق أرشيفية للمعاهدات التي وقعت من الطرفين ،كما استند إلى بيبليوغرافيا متنوعة وفي صميم الموضوع [23].

2.5- الحرف والحرفيون :

ما يميز هذا البحث التاريخي ،والذي هو عبارة عن أطروحة دكتوراه كانت الدكتورة قد أنجزتها ،والتي بعنوان :**الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقاربة اجتماعية – اقتصادية** ،وقد تضمنت هذه الدراسة الجادة موضوعا جديدا بالمقارنة مع الدراسات المغاربية عموما والجزائرية على وجه الخصوص ،وقد تناولت البحة رحمة الله عليها دراسة اقتصادية واجتماعية لمجتمع مدينة الجزائر ،ويمكن اعتبارها مرجعا مهما لهذا النوع من الدراسات ذات المقاربة الاجتماعية لموضوع اقتصادي [24].

وقد تناولت الباحثة في موضوعها هذا التركيبة الاجتماعية لمجتمع مدينة الجزائر ،وأهم الطبقات المكونة له بالتفصيل ،والتنظيمات الاجتماعية في المدينة .كما تناولت الوضع الديموغرافي للمدينة والعوامل المتحكمة فيه [25].

كما تناولت الدكتورة في بحثها هذا المؤسسات المسيرة لمجتمع مدينة الجزائر ،والعناصر المكونة للبنية التنظيمية للمجتمع ،ومظاهر الحياة اليومية في المدينة من تفاوت اجتماعي بين الطبقات ومظاهر الحياة من لباس وبيوتات ،إضافة إلى توزيع

السكان داخل المدينة في الحارات (الحومات) ،وأخيرا ختمت الباحثة دراستها بموضوع العلاقات الاجتماعية بين مختلف الفئات الاجتماعية داخل مدينة الجزائر [26].

3.5- الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها :

وهو عبارة عن مشروع بحث ترأسته الدكتورة غطاس رحمها الله ،وانجزته مع مجموعة من الأستاذات الباحثات .وقد تعرض المشروع البحثي إلى عدة نقاط تتعلق بالدولة الجزائرية خلال العهد العثماني ،حيث بدأ بالوضع العام للمغرب الأوسط مع نهاية القرن 15م/09هـ ،وبداية القرن 16م/10هـ ،وحالة الضعف والانحطاط التي آل إليها ،وصولا إلى انضمام الجزائر للدولة العثمانية باعتبارها الخلافة الإسلامية[27].

كما تطرق المشروع البحثي إلى النظم السياسية والعسكرية والإدارية للجزائر خلال العهد العثماني بالتفصيل ،مبرزا دور الجيش الانكشاري وطائفة رياس البحر في الجزائر خلال العصر الحديث في الحياة السياسية داخل البلاد ،والدفاع عنها أمام الحملات الأوربية .أما بالنسبة للنظم الإدارية فقد بين دور الديوان والتنظيمات المحلية في الباياليكات وتطرق إلى الشرح بالتفصيل إلى مكونات تلك التنظيمات ودورها في تسيير شؤون البايلك .كما تطرق المشروع إلى دور مؤسسة مشيخة البلد ،ومؤسسة الأوقاف موضحا أنواعها ودورها في الحياة الثقافية والاجتماعية في الجزائر ودينة الجزائر بشكل خاص خلال العهد العثماني [28].

6. الخاتمة :

إن الأستاذة الدكتورة الباحثة والمؤرخة عائشة غطاس من الشخصيات الجزائرية الوطنية العلمية ،التي قدمت الكثير في مجال تخصصها التاريخ ،وتاريخ الجزائر بوجه خاص ،والتاريخ المغاربي عموما ،من خلال رصيد وإنتاج أدبي وعلمي مازال موجودا في المكتبات الوطنية وفي أرشيف الملتقيات الدولية والوطنية والأيام الدراسية في الجامعات الجزائرية والمغاربية ،وبعد هذا المقال الذي أريده أن يكون عرفانا بالجميل واعترافا به من طالب إلى أستاذته التي درسته في مرحلتي الليسانس والماجستير ،وتمنيت أن تكون

حاضرة كمناقشة أو مشرفة عليّ في مرحلة الدكتوراه ،لكن إرادة الله سبحانه فوق الجميع (رحمها الله)،وقد استنتجت عدة نتائج أجملها في مايلي :

1- تعتبر الدكتورة غطاس من الجيل الثاني ،الذي هو امتداد للجيل الأول من المؤرخين والباحثين الجزائريين ،الذين أسسوا لمدرسة تاريخية جزائرية وطنية .

2- تخصصت الدكتورة في التاريخ الحديث ،ووجهت اهتماماتها البحثية إلى تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني ،فاستحقت أن تكون من الرائدين فيه .

3- دافعت الأستاذة رحمها الله عن تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني ،وتصدت للكتابات الغربية ،من خلال مقالاتها التي فندت من خلالها تلك الإدعاءات المغرضة ،التي حاولت تلك الكتابات الغربية إلصاقها بتاريخ الجزائر خلال العهد العثماني .

4- من بين الآثار العلمية التي تركتها الدكتورة غطاس مذكرة ماجستير ،كانت أعدتها حول موضوع العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن 17م ،والتي فتحت الأفق من خلالها لباحثين جزائريين أمام تخصصات مختلفة حول موضوع العلاقات بين ضفتي المتوسط .

5- كما تركت الدكتورة أطروحة دكتوراه لم تنشر بعد ،وهي عبارة عن دراسة تاريخية مرجعية لموضوع مميز ،جمع بين الميدانين الاقتصادي والاجتماعي ،وفتح أمام الطلبة والباحثين موضوع المقاربات ،والذي مازال يشغل الكثير في أبحاثهم ،ويعتبر رائدا في الجامعات الجزائرية والمغاربية .

6- قاوم أولاد نايل سياسة التوسع الفرنسي وانضموا إلى مقاومة الأمير عبد القادر ،وكان لهم دور كبير في استمرار مقاومته وانتشارها في مناطق الهضاب الوسطى من الجزائر.

7- كما أثرت الدكتورة الباحثة المكتبة الجزائرية بإنتاج علمي مميز ،تضمن معالم الدولة الجزائرية الحديثة ومختلف مؤسساتها ،والذي هو عبارة لمشروع بحثي ،أسس لمعالم وطنية الدولة الجزائرية خلال العهد العثماني ،وأثبت وجودها وامتدادها خلال ثلاثة قرون .

وفي الأخير مقول أن الدكتورة عائشة غطاس رغم رحيلها عن هذه الدنيا إلا أنها باقية من خلال أنتاجها العلمي التاريخي ،بين طلبتها وبين الباحثين وبين ثنايا المكتبات وأروقة الجامعات ،رحمها الله .

الهوامش:

(1) فاطمة الزهراء قشي :**ذكرى تأبينية للفقيدة الأستاذة الدكتورة عائشة غطاس (1955-2011)** ،في مجلة إنسانيات المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية ،العدد 55-56 ،ص ص 9-10 .

(2) إبراهيم سعيود : **الدكتورة عائشة غطاس كما عرفتها** ،مقال نشر بجريدة الشروق ،الجزائر 14-05-2011.

(3) الشافعي درويش :رواية الأحداث يحكيها الباحث لأنه عايشها ومرت به هو شخصيا عندما كان طالبا جامعيا في مرحلة الليسانس في معهد التاريخ بجامعة الجزائر ببوزريعة دفعة 1992-1996 .

(4) الشافعي درويش :رواية الأحداث يحكيها الباحث لأنه عايشها ومرت به هو شخصيا.

(5) الشافعي درويش :رواية الأحداث يحكيها الباحث لأنه عايشها ومرت به هو شخصيا .

(6) الشافعي درويش :رواية الأحداث يحكيها الباحث لأنه عايشها ومرت به هو شخصيا.

(7) الشافعي درويش :رواية الأحداث يحكيها الباحث لأنه عايشها ومرت به هو شخصيا.

(8) الشافعي درويش :رواية الأحداث يحكيها الباحث لأنه عايشها ومرت به هو شخصيا عندما كان طالبا جامعيا في مرحلة الماجستير في قسم العلوم الإنسانية شعبة التاريخ بالمركز الجامعي بغرداية دفعة 2008-2009.

(9) الشافعي درويش :رواية الأحداث يحكيها الباحث لأنه عايشها ومرت به هو شخصيا.

(10) الشافعي درويش :رواية الأحداث يحكيها الباحث لأنه عايشها ومرت به هو شخصيا.

(11) الشافعي درويش :رواية الأحداث يحكيها الباحث لأنه عايشها ومرت به هو شخصيا.

(12) الشافعي درويش :رواية الأحداث يحكيها الباحث لأنه عايشها ومرت به هو شخصيا.

(13) الشافعي درويش :رواية الأحداث يحكيها الباحث لأنه عايشها ومرت به هو شخصيا.

(14) جمال سهيل :رواية الأحداث يحكيها الباحث لأنه عايشها ومرت به هو شخصيا وكان حاضرا في جنازة المرحومة بمدينة البرواقية .

(15) الشافعي درويش :رواية الأحداث يحكيها الباحث لأنه عايشها ومرت به هو شخصيا.

(16) الشافعي درويش :قراءة تحليلية لشخصية الدكتورة العلمية بحكم اطلاعه على بعض مقالاتها ومؤلفاتها.

[17] عائشة غطاس :**نظرة حول تقييم بعض المصادر الغربية لسياسة الجزائر خلال العهد العثماني** ، في مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 5 ،معهد التاريخ جامعة الجزائر ،الجزائر 1987 ،ص ص 116-127 .

[18] عائشة غطاس :المرجع نفسه.

[19] نفسه.

[20] نفسه.

[21] نفسه.

[22] عائشة غطاس :**العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1619-1694)** (1984-1985) ،رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ،إشراف :أ.د.مولاي بلحميسي ،معهد التاريخ جامعة الجزائر.

[23] عائشة غطاس:المرجع نفسه.

[24] عائشة غطاس :**الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقاربة اجتماعية – اقتصادية** (2000-2001) ،أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث ،إشراف :أ.د.مولاي بلحميسي ،قسم التاريخ بكلية العلوم الإنسانية ،جامعة الجزائر.

[25] عائشة غطاس :المرجع نفسه.

[26] نفسه.

[27] عائشة غطاس وآخرون :**الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها** ،منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ،الجزائر 2007.

[28] عائشة غطاس :المرجع نفسه.